الإنتاج المشترك بوابة السينما العربية للوصول إلى الأسواق العالمية

باحثون عرب يناقشون سبيل تحرير الأفلام العربية من المحلية

مازال الفيلم العربي يعاني من إشكاليات كثيرة اقتصادية وسياسية، ومازال يحتاج إلى دعم كبير ليصل إلى المنابر الخارجية والمهرجانات العالمية. وللحديث عن هذه المعضلة عقد الاتحاد العام للفنانين العرب المؤتمر الأول للسينما العربية وذلك على هامش الدورة السابعة والثلاثين من مهرجان الإسكندرية السينمائي لدول البحر المتوسط.

لمى طيارة
كاتبة سورية

عقد مؤخرا وضمن فعاليات الدورة السابعة والثلاثين لمهرجان الإسكندرية السينمائي لدول البحر المتوسط المؤتمر الأول للسينما العربية الذي نظمه الاتحاد العام للفنانين وقام بتأسيس دورته الافتتاحية الدكتور ياقوت الديب، وشارك فيه مجموعة من الباحثين والنقاد من كل من مصر والسودان والمغرب وسوريا والعراق.

ورغم أن المؤتمر لم يحظ بإقبال جماهيري كبير، إذ لم يتم الإعلان عنه للجمهور بالشكل الكافي، إلا أنه طرح قضايا مهمة جدا على صعيد الإنتاج السينمائي المشترك والمحلي والمأمول منهما.

الإنتاج المشترك

كان من أهم الأبحاث وأكثرها أكاديمية وعمقا وتفصيلا، البحث الذي قدمته من مصر الباحثة أمل الجمل، وهي بالمناسبة باحثة حاصلة على درجة الماجستير منذ سنوات عديدة في نفس الموضوع، وبدأت ورقتها البحثية بتعريف الإنتاج السينمائي المشترك في مداخلتها المعنونة "واقع الإنتاج السينمائي المشترك وتحديات اكتساب أرض جديدة" على أن التعاون السينمائي المشترك يُقصد به أن يكون بين طرفين أو أكثر لإنتاج فيلم (روائي أو تسجيلي، سواء كان طويلا أو قصيرا) يتسم بصبغة عالمية في القصة والمعالجة، وبرأس مال مشترك، وبممثلين وفنيين من الدول المشاركة في الإنتاج، وبسيناريو يرضى عنه جميع الأطراف.

ولكن رغم ذلك، كما تشير الجمل، قد يُفضل البعض أن تقتصر الشراكة على التمويل فقط (الجزء المادي) من دون الإصرار على وجود ممثلين من الدول المشاركة حتى لا ينجم عن ذلك تسكين ممثل أو ممثلة في غير مكانه، بحيث يصبح عبئاً على الشخصية الدرامية وعلى العمل بأسره.

أما في ما يخص قضية جنسية الفيلم، وهي مشكلة باتت محل أخذ ورد من قبل العاملين في حقل السينما، فترى الجمل أنه في الإنتاج المشترك يُنسب الفيلم إلى الجهة صاحبة النسبة الأكبر في رأس المال، أما إذا تساوت الأطراف المشاركة فيتحدد في وثيقة العقد إلى أي دولة يُنسب الفيلم، وحقوق كل طرف في مناطق التوزيع، ولكن في نهاية الأمر ورغم أن الفيلم يكتسب قانونيا جنسية الجهة الممولة إلا أن هويته السينمائية تظل حكراً على جنسية مخرجه، في حين يُمنح الشريط السينمائي هويته الثقافية من روح العمل المُقدم وجوهر الموضوع.

وترى الباحثة أن أهمية الإنتاج المشترك تكمن في اعتباره وسيلة فعّالة للخروج بالفيلم من سوقه المحلي المحدود وتوسيع دائرته في السوق العالمي، بالإضافة إلى أنه سيتيح تبادل الخبرات المهنية والأكاديمية، وعقد لقاءات دورية مشتركة لمنتجي السينما وخبرائها من البلدان المشتركة في إنتاج العمل، وسيسمح ذلك على سبيل المثال بالتعاون لترميم الأفلام، وإصدار المطبوعات، وتمويل الأبحاث، ويخلق في النهاية منافسة شديدة تحقق نتائجها في تطور السينما، ويكون لها أثرها الكبير في نهضة الفن السابع.

وتطرقت في ورقتها البحثية إلى نقطة هامه يغفل عنها البعض ألا وهي السياسة وتأثيرها على صناعة الأفلام وأتت على التجربة المصرية شارحة ذلك بشكل تفصيلي.

> أهمية الإنتاج المشترك أنه وسيلة فعّالة للخروج بالفيلم من سوقه المحلي المحدود وتوسيع دائرته في السوق العالمية

وتوقفت الجمل في ورقتها البحثية عند بعض من الأفلام السينمائية العربية التي خاضت في الإنتاج المشترك، كالفيلم الروائي التونسي "نحبك هادي" وهو الفيلم الأول للمخرج محمد بن عطية، الذي جاء نتيجة تعاون مشترك بين فرنسا وبلجيكا، تمثل بالأخوين داردين اللذين يُعدان من أهم منتجي السينما في العالم وحصدا السعفة الذهبية مرتين، إلى جانب تكريمهما من مهرجان كان أيضاً، وشاركت في الإنتاج تونس ممثلة بالمنتجتين لينا شعبان ودرة بوشوشة، التي عرفت بأنها واحدة من أهم المنتجين الداعمين للسينمائيين الشباب، كما تشير الجمل، والتي أنتجت أيضا أفلاما مهمة للسينما التونسية.

كما نوهت الجمل بالأفلام السودانية المشتركة وخاصة فيلم "الحديث عن الأشجار" الذي نال بدوره جائزتين من أهم جوائز البرلينالله (أفضل وثائقي وجائزة الجمهور)، وتستغرب كيف بعد هذه الدورة بعام، لم يجد المدير الفني لهذا المهرجان العظيم أي فيلم عربي ليشارك، تقول الجمل "هل يعقل أن السينما العربية من المحيط إلى الخليج لم تُنتج أفلاماً على مستوى فني لائق يستحق المشاركة في أي من أقسام المهرجان سواء البانوراما أو حتى القسم الجديد المستحدث 'إنكاونتر'؟ وهل حقاً يمكن أن نصدق أن دولاً مثل لبنان وتونس والمغرب أو الجزائر لم تُنتج فيلما يستحق العرض في برلين"؟ ملمحة إلى أن العلاقات الشخصية تلعب دوراً في الخيارات والاختيارات، وليس مجرد تعنت مرجعه موقف مناهض من السينما العربية، لكن ربما القيادات الجديدة في مهرجان برلين كما تقول الجمل، لم تنجح أو ربما لم تُجهد نفسها للبحث والتواصل مع مخرجين عرب، أو ربما لا يملكون نفس قوة العلاقات التي تميز بها ديتر كوسليك.

ونوهت الجمل بتجربة المخرجة التونسية كوثر بن هنية في فيلمها الأحدث "الرجل الذي باع ظهره"، فهي وبالرغم من أنها تراه فيلما جيدا، لكنها تعرف أنه في نفس العام قد أنتجت أفلام عربية أكثر أهمية منه، لكن مجرد أن الفيلم استطاع أن يحصل على تمويل من أكثر من 20 جهة إنتاجية، هذا لوحده كان كافيا لتشكيل ضمانة لدخوله مهرجانات دولية، إلى جانب أن قصته مقتبسه عن لوحة عالمية، وشارك فيه نجوم عالميون.

وختمت مداخلتها بأنه لا بد من الاعتراف بأن الإنتاج السينمائي المشترك يقوم بسد فجوة تمويلية وخاصة مع تراجع دعم الدولة ويمنح هامشا من الحرية، لكن يبقى الهدف الأسمى منه هو الوصول إلى الأسواق العالمية والتعريف بسينمانا ونجومنا.

لكل بلد ظروفه

أما الورقة البحثية الهامة التي أردت الوقوف عندها فهي للمخرج المغربي حسن الروخ، والتي حاول من خلالها التعريف بالفيلم كإنتاج، ومتى يمكننا أن نطلق على مهنة السينما في دولة ما كلمة صناعة، مؤكدا على أن الدال على تلك الصناعة يمكن حصره في عدة نقاط من أهمها وجود عدد كبير من الأفلام المنتجة سنويا، والتي يجب أن تصل إلى (100 أو 200 فيلم)، بالإضافة إلى وجود عدد كبير من صالات العرض، كل ذلك سيترافق تلقائيا مع أهمية وجود عدد لا بأس به من المعدات والتجهيزات، كما أن وجود المهرجانات السينمائية الداخلية سواء المحلية منها أو الدولية يشكل نقطة هامة في دعم تلك الصناعة.

أما الورقة البحثية الثالثة والتي قدمتها كاتبة هذه السطور بعنوان "الإنتاج السينمائي المحلي والمأمول منه"، فإنها تشير إلى الإنتاج السينمائي في سوريا لم يكن يوما يحبو تجاه فكرة الصناعة، فالإنتاج ورغم أنه كان قد بدأ مبكرا جدا مع القطاع الخاص 1928 وسبق له وأن مر بتجارب عديدة في الإنتاج المشترك، إلا أنه ومنذ بداية تأسيس المؤسسة العامة للسينما في سوريا وحتى اليوم لم يتجاوز الإنتاج السينمائي الروائي الطويل الـ 100 فيلم، واقتصرت تجربة الإنتاج المشترك فيه على التعاون مع الأفراد كما حصل على سبيل المثال في تجربتي كل من توفيق صالح في فيلم "المخدوعون" وتجربة برهان علوية في فيلم "كفر قاسم".

وتشكو سوريا عموما من قلة عدد العاملين في حقل السينما من مخرجين وفنيين، على الرغم من أن المؤسسة تمتلك كما لابأس به من المعدات، ولسد تلك الفجوة تقرر مؤخرا استحداث المعهد العالي للسينما وذلك بعد النجاح الذي حققه مشروع دبلوم السينما الذي رفد الساحة بمجموعه من الشباب الموهوبين.

كما أن سوريا تفتقد لوجود قاعات عرض فيما لو استثنينا القاعات القليلة جدا التي تمتلكها وزارة الثقافة والتي كانت تستثمرها في عروض مهرجان دمشق السينمائي الدولي، وهو المهرجان الوحيد في سوريا المتوقف منذ عشر سنوات بسبب الأزمة الاقتصادية وحتى السياسية، كما أن الفيلم السوري يعاني من معوقات التواجد في مهرجانات دولية وحتى عربية، سواء الفيلم القادم من داخل سوريا أو خارجها، وذلك لأسباب سياسية باتت معروفة.

أما بالنسبة إلى مداخلة الناقدة المصرية ماجدة موريس التي كانت تدور أيضا في إطار الإنتاج المحلي والمأمول منه فلقد لخصت فيها رحلة الإنتاج السينمائي المصري، مرورا بتجربة المؤسسة المصرية العامة للسينما التي توقفت لاحقا، (كانت أول مؤسسة عامة يصدر قرار بإلغائها بعد تولي الرئيس السادات الحكم وإعلانه سياسة الانفتاح الاقتصادي، ومنذ ذلك التاريخ 1972 يقود السينما المنتج الخاص إما بمفرده من خلال شركته الخاصة، أو يقودها ممثلون لديهم طموحات لتقديم أعمال مختلفة).

أما مداخلة الأكاديمي إبراهيم محمود حول السينما العراقية، والتي كانت في محور الإنتاج المشترك، فأكد من خلالها على أن السينما العراقية كانت فقيرة من حيث الإنتاج والإنتاج المشترك لسنوات طويلة نتيجة المتغيرات السياسية التي شهدتها البلاد، ولكن منذ العام 2003 حصلت متغيرات في المشهد العراقي، شملت شتى مجالات الحياة، وأثرت في جميع تفاصيلها، وكان للسينما نصيبها.

فيلم «نحبك هادي» ساهم الإنتاج المشترك في نجاحه

«الكنز».. فيلم مغربي يتوسل بالكوميديا ليرسخ التسامح بين الأديان

الدار البيضاء – تم أخيرا في المركب السينمائي ميغاراما في الدار البيضاء، تقديم العرض ما قبل الأول للشريط السينمائي "الكنز" لمخرجه عمر غفران، والذي ستستقبله مختلف القاعات السينمائية المغربية في سلسلة من العروض ابتداء من الثالث عشر من أكتوبر الجاري.

ويتناول هذا الفيلم السينمائي قضية التعايش داخل المجتمع المغربي في قالب كوميدي صرف، من خلال العلاقة التي تربط بين اليهودي المغربي جاد، ويجسد دوره الفنان محمد الحوضي، وحمدان الذي يشخصه طارق البخاري وزوجته سكينة درابيل، إذ يجتمع الثلاثة ليخوضوا معا مغامرة البحث عن كنز يعود إلى جد جاد، بحي الملاح داخل المدينة القديمة.

ويقدم الفيلم مشاهد كوميدية كثيرة في رحلة بحث جاد عن الكنز الذي اكتشف أمره بعد وفاة والده من خلال خارطة تبين أن هناك كنزا مدفونا في الرياض الذي ولد فيها قبل أن يهاجر رفقة عائلته.

وعلى هامش هذا العرض، كشف المخرج عمر غفران أن فكرة الفيلم، الذي قدم بحضور كافة الممثلات والممثلين المشاركين فيه، تولدت لديه بعد لقاء وتجاذب أطراف الحديث مع الفنانين شفيق بيسبيس وعلي قروي، مؤكدا أن هذا الشريط يشكل رسالة للتعايش والسلام والمحبة.

وقال، في تصريح له إن "هاجس التعايش بين اليهود والمسلمين، فكرة كانت تراودني منذ وقت، إلى أن نبتت بذرة إنجاز هذا العمل شيئا فشيئا، وكانت ثمرتها هذا السيناريو الذي حول إلى شريط سينمائي".

وأضاف أنه "في ظل الأزمة الحقيقية التي يعيشها الفن المغربي، الآن، والسينما تحديدا من خلال نفور الجمهور، فإن الأمر المهم الذي يفرض نفسه هو إعادة المتلقي إلى القاعات السينمائية من خلال إنجاز أفلام سينمائية ذات بعد وعمق معينين. وأنا متيقن من أن الجمهور سيستمتع كثيرا بتفاصيل قصة الفيلم الطريفة التي تستغرق ساعة و48 دقيقة".

ومن جهتها، تحدثت الفنانة سكينة درابيل عن كواليس تصوير الشريط التي وصفتها بالرائعة، حيث ساد جو التعاون بين كل الفنانين سواء في المجال التقني أو الفني أو التشخيص.

كما أعرب محمد الحوضي عن اعتزازه بالمشاركة في هذا الفيلم، وتجسيد دور شخصية يهودية تعود إلى الوطن الأصل من أجل البحث عن كنز الأجداد المغاربة اليهود الذين هاجروا سنوات الأربعينات والخمسينات، وحتى الستينات.

وشدد على أن "الكنز الحقيقي هو محاولة اليهودي المغربي اكتشاف البلد الذي ولد به، وعاش فيه بعضا من سنوات طفولته قبل أن يهاجر، وأيضا اكتشاف العلاقات والمعاملات مع الناس التي لا يظهر فيها الانتماء الديني للشخص بقدر ما يظهر تعامله كإنسان".

وفي السياق ذاته، أكد طارق البخاري أن من شيم الدين الإسلامي احترام ديانة الآخر والتسامح والتعايش معه ونبذ العنف.

واعتبر، في تصريح مماثل، أنه "آن الأوان لنفض الغبار عن بعض المفاهيم المغلوطة وغير الصحيحة التي تولد عنها عنف مجاني في الوقت الذي كان فيه أجدادنا يتعايشون مع اليهود في تسامح وسلام".

ويشار إلى أن المخرج عمر غفران يمارس المسرح منذ ما يزيد عن 24 سنة، ودخل عالم الإنتاج من خلال إنتاج أول أفلامه المطولة، قبل أن يتولى إنتاج وإخراج الفيلم الكوميدي "الكنز"، وهو بصدد التحضير لفيلم ثالث بعنوان "رجل من زمن آخر"، الذي يعالج الواقع الاجتماعي بالمغرب في إطار درامي شيق.

وجدير بالذكر أنه تم تصوير أحداث هذا الفيلم، الذي كتب قصته المخرج نفسه، بمدينة الرباط، وهو من بطولة سكينة درابيل، وطارق البخاري، ومحمد الحوضي، وجمال العبابسي، وناصر المدغري، ومريم قدميري، وهند بالعلا، إلى جانب فنانين آخرين.

وأكد متابعون في ردود أفعالهم بعد مشاهدة العرض الأول من العمل أن "الفيلم بهي ذو طابع كوميدي تراثي، من خلاله جعلنا كل الأبطال الفنانين المشاركين فيه نسافر في الحقبة التاريخية للمغرب حيث السلام والتسامح بين مختلف الأعراق والأديان".

ويجسد المغرب نموذجا للتعايش السلمي بين الديانات والثقافات المختلفة، وهو ما تبرزه أمثلة كثيرة لذلك في الحياة اليومية في هذا البلد الواقع في شمال أفريقيا ومن بين هذه الأمثلة كنيسة نوسترا سينورا ديل بيلار بمدينة العرائش شمال المغرب، والتي يعد طرازها المعماري الفريد أبرز شاهد على انتشار قيم التسامح في المغرب حيث بنيت هذه الكاتدرائية منذ عقود على الطريقة الإسلامية في بناء المساجد.

ويثمن كثيرون تجربة المغرب في تكريس التعايش بين الثقافات والأديان المختلفة والتسامح وهي سمات وإن تراجعت في السنوات الأخيرة في المغرب وبلدان عربية كثيرة بتأثيرات متداخلة لعل أهمها انتشار التعصب وعدم توفر معالجات ثقافية وفنية وتعليمية متكاملة ومتجددة ضد هذه التيارات التي لا تتوقف عن محاولة بث الصوت الواحد والرأي الواحد والتأليب ضد المختلفين في العرق أو الدين.

ويبقى دور السينما والفنون هاما في التأكيد على ثقافة التعايش والتسامح ومقاومة التعصب، ومن ناحية أخرى فإن الكوميديا قالب سهل التقبل، ما سيضمن بلوغ رسالة الفيلم إلى مختلف الشرائح.

> الفيلم يتناول قضية التعايش والتسامح في المجتمع المغربي بقالب كوميدي عبر شخصيتي مسلم ويهودي

رسالة للتعايش والسلام والمحبة